

# دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي

## بين التبعية والموضوعية

دكتور/ ظافر الشهري\*

يقتضي الحديث عن دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي بين التبعية والموضوعية الوقوف على تعريف الاستشراق في معناه العام والخاص، فلفظة "الاستشراق" هذه تناولتها بعض الدراسات في عصرنا الحاضر، ولا يزال الباحثون العرب يهتمون بالاستشراق، وجهود المستشرقين في ثقافتنا ووعينا الفكري. فما الاستشراق إذن؟.

إن الاستشراق كما يعرفه بعض الدارسين العرب المعاصرين في معناه العام يعني علم الشرق، أو هو علم العالم الشرقي، ويطلق على فئة من العلماء من أمريكا وأوروبا وروسيا، كرمست وقتها وجهدها لدراسة تراث العرب لأهداف وأغراض متعددة (١).

والاستشراق في معناه الخاص قد ينصرف إلى الدراسات الغربية التي تناولت الشرق الإسلامي، واهتمت بأدابه ولغاته وعقائده وتاريخه (٢).

أو هو انصراف بعض العلماء الغربيين، أو الأمريكيين، أو الروس إلى دراسة الشرق وأحواله والغوص في تاريخ وثقافة وتقاليد شعوبه في غابر أيامها وحاضرها (٣).

وقد بدأ المشتشرقون نشاطهم واهتمامهم بالشرق العربي منذ بدايات القرن الرابع عشر الميلادي، فأنشأوا عدداً من كراسي اللغات الشرقية، ومن أهمها اللغة العربية في بعض الجامعات الغربية والأمريكية استجابة لقرار الجمع الكنسي بفيينا سنة ١٣١٢م (٤) ثم توالى إنشاء هذه الكراسي تباعاً. وقد يكون نشاط المستشرقين بدأ قبل هذا التاريخ إثر دخول الإسلام إلى الأندلس، وخضوع تلك البلاد للحكم الإسلامي العربي، بخاصة في القرن الرابع الهجري في عهد عبدالرحمن الثالث، حيث ازدهرت الأندلس في شتى المجالات وانفتحت على العالم من حولها (٥). والأندلس تعد في حقيقة الأمر إحدى الطرق التي اتصل المشتشرقون عبرها فيما بعد بالتراث العربي، ومع هذا

\* كلية التربية - قسم اللغة العربية - جامعة الملك فيصل - السعودية.

لم يظهر لفظ مستشرق ومفهومه في أوروبا إلا في نهاية القرن الثامن عشر عندما ظهر في إنجلترا سنة ١٧٧٩م، وفي فرنسا سنة ١٧٩٩م، وأدرج مفهوم الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية في عام ١٨٣٨م (٦).

عندما نبحث في الفترة الزمنية لظهور الاستشراق، ونشاط المستشرقين فإن ذلك يفضي بنا إلى القول: إن القرنين التاسع عشر والعشرين يعدان بكل المقاييس التاريخية والأدبية عصر الازدهار الحقيقي للاستشراق، وليس من المغالاة إذا قلنا: إن المستشرق الفرنسي "البارون دي ساسي" (١٧٥٨-١٨٣٨) Sacy, S. de هو إمام المستشرقين حينئذ (٧).

ولكن هل الاستشراق نشاط سياسي يتصل بأهداف المستشرقين في المقام الأول؟. وبذلك تتضح التبعية في توجهات هؤلاء المستشرقين، أو أنه نشاط ثقافي علمي بحت؟. وهنا تأتي الموضوعية المطلوبة في الباحث.

إن الإجابة على هذين التساولين تفرض علينا أن ننظر في أهداف المستشرقين من الناحية التاريخية والعلمية، وعمل كهذا قد يقف بنا على آراء متعددة للباحثين في هذا السياق، فبعضهم يرى أن الاستشراق لا ينفك عن التبعية سواء أكانت سياسية أم عقديّة أم استعمارية، بينما يرى آخرون أنه اتجاه ثقافي معرفي يمثل الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بين الشرق والغرب (٨).

ومن هنا نجد أنفسنا أمام سؤال لا بد من الإجابة عليه، مضمونه كيف تتوافق مع أهداف المستشرقين بين التبعية السياسية والعقديّة والاستعمارية وبين الموضوعية في دراسة الشعر الجاهلي؟. هذا الشعر الذي نال نصيباً وافراً من اهتمام المستشرقين ودراساتهم، جمعاً وتوثيقاً ورواية وتلويحاً ونشراً. بغض النظر عن تبين وجهات نظرهم في هذا المجال. ووجهات نظر الباحثين العرب حول هذه الدراسات.

نستطيع القول: إن الأهداف التي ما فتئ أغلب المستشرقين يسعون لتحقيقها - مهما أحسنا الظن بهم - من خلال انسياحهم في بلاد الشرق العربي ودراسة لغته وآدابه وتاريخه قد لا تخرج عن أهداف يمكن حصرها في الدين، والاستعمار والاقتصاد، وهنا تتأكد التبعية، أما الهدف الذي يمكن أن تجد الموضوعية عند بعضهم طريقاً إليه فهو العلم. وهو الهدف الذي قد يكون مقبولاً لدينا رغم انحراف بعض المستشرقين عن الموضوعية في هذا الجانب.

والبحث في هذه الأهداف مجتمعة أو مفردة، ومدى تبعية المستشرقين لمضامينها يستغرق جهداً ووقتاً، غير أننا في هذه العجالة نجد من الأهمية الإشارة إلى هذه الأهداف بشكل موجز انسجاماً مع عنوان هذا البحث.

لقد انفتح أغلب المستشرقين على تراث الشرق العربي بعقلية دينية تعصبية، فكان الدين من أهم الأهداف التي أدت إلى نشأة الاستشراق، وكلنا نعرف حركة العداء التي مورست في الأندلس إبان الضعف وأقول الدولة الإسلامية في تلك الديار إلى درجة أن بعض الرهبان حاولوا عبثاً أن يشعروا أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وأن العرب المسلمين همج ولصوص، وسفاكو دماء. (٩) أما الهدف الاستعماري، فإنه قد تكشف بعد انتهاء الحروب الصليبية، ثم بعد سقوط الخلافة العثمانية حيث تكثت الغرب بكل عهودهم التي قطعوها لمن المخدع بتلك العهود من العرب واستعمروا أغلب البلاد العربية، وحاولوا التأثير في الهوية الثقافية للأمة، وبخاصة أبناء البلاد المستعمرة، وقد كانت الحروب الصليبية إحدى الطرق أيضاً التي توصل المستشرقون من خلالها إلى دراسة تراثنا العربي والإسلامي، وقد المحرف كثير من المستشرقين عن أخلاقيات البحث العلمي وابتعدوا عن الموضوعية المطلوب توفرها في الباحث، لأهواء استعمارية، بعد انتهاء هذه الحروب التي كانت دينية في ظاهرها، استعمارية في باطنها، حيث سخر بعض المستشرقين جهودهم لخدمة هذه الأغراض من واقع التبعية والارتباط بين الاستشراق والاستعمار، وقد تجلت هذه التبعية واضحة عندما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية على الشرق العربي، فحاولوا إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس أبنائه، كما حاولوا بث الوهن والارتباك في تفكير الناس عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيديهم من تراث (١٠).

لقد عكف المستشرقون على دراسة القرآن الكريم والشعر العربي وغاصوا في مضامين التراث العربي والتاريخ الإسلامي، وكان من هؤلاء المستشرقين الذين لم تسلم جهودهم من الأهواء الدينية والاستعمارية المستشرق الإنجليزي "وليم رايت" (١٨٣٠-١٨٨٩) Wright, W. حيث حاول في دراسته عن "النحو العربي" إثبات وجود شعر في القرآن الكريم. وكذلك المستشرق الألماني "جريمه. هـ" (١٨٤٨-١٨٩٢م) Wright, Aug. كما ذهب المستشرق الألماني "أوجست ملر" (١٨٤٨-١٨٩٢) Wuller, Aug. إلى أن قلب القرآن الكريم من القوالب الشعرية، ولكن المستشرق "نلدكه" Noldeke, رفض هذه المقولة. ومنهم كذلك المستشرق

الإنجليزي "بالمر" (1840 - 1955م) Palmer, E.H حيث اشتغل بمسائل السياسة الشرقية (١١). وكذلك المستشرق الإيطالي "روسي" (1894-1955م) فقد سافر إلى ليبيا ضمن الجيش الإيطالي، وتعلم اللغة العربية، وأسهم في تحرير مجلة الشرق الحديث التي كانت تهتم بأحوال العالم الإسلامي (١٢). ومنهم كذلك "صمويل زويمر" (1867-1952) Zewemer, S. وهو رئيس المبشرين في الشرق الأوسط، تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي التي أنشأها مع المستشرق "دنكان بلاك ماكدونلد" (1911م)، وقد عرف "زويمر" بتعصبه واعتسافه لكثير من القضايا وبخاصة ما يتعلق بالعلاقات بين المسيحية والإسلام وقد كانت له مصنفات كثيرة في هذا المجال، ولكنها فقدت قيمتها العلمية لرعته التعصبية (١٣). على أنه بالرغم من كثرة ما كتبه المستشرقون في قضايا اللغة العربية والأدب العربي والشعر منه بشكل خاص، لم نجد بحثاً يمثل سوء المنهج العلمي، خضوعاً للتعصب المقيت ضد العرب وتراثهم أبعد أثراً مما كتبه "مرجليوث" المستشرق الإنجليزي عن الشعر الجاهلي، الأمر الذي يتنافى مع جهود هذا المستشرق في تحقيق المخطوطات العربية ونشرها، ولكنه لم يستطع أن يخفي تعصبه فيما كتبه عن الشعر الجاهلي، وما أصدره من أحكام تناولت صحة هذا الشعر وانتحاله (١٤). وهناك عدد من المستشرقين لا يمكن أن يفصل نشاطهم العلمي في جوانب كثيرة منه عن التبعية والرعة التعصبية، دينية كانت أو استعمارية، كالمستشرق الإيطالي "شروللي" (1898) Cerulli, Enrico، فقد شغل وظائف عدة في وزارة المستعمرات الإيطالية، ونائباً للحاكم العام في أفريقيا الشرقية (1937-1938م)، وعرف عنه ميوله السياسية الاستعمارية (١٥). وقد يطول بنا الأمر لو استرسلنا في هذا الجانب. ولا يمكن لأي باحث أن يغفل الهدف الاقتصادي، عندما يبحث في أهداف المستشرقين، بل يعد من أهم الأهداف، وقد تطور حتى أصبح يشكل قطب الرحى في العلاقات الدولية في زماننا هذا. ولكن ما يهيم هذا البحث هو الهدف العلمي للمستشرقين، إذ يمثل الصورة المقبولة، والجهود الطيبة عندهم، فقد بذل كثير منهم من وقته وعلمه في دراسة تراثنا الإسلامي والعربي بشكل عام غير أن هذا البحث يقتصر على اهتمام المستشرقين بالشعر الجاهلي، ولعل في هذا ما يعيط اللثام عن موقفهم من هذا الشعر الذي يعد ديوان العرب، وليس لهم ديوان سواه كما ذكر ابن سلام الجمحي في معرض حديثه عن الرواية وصحتها. (١٦)

## دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي

إذا ما تجاوزنا هذه الافتراضات التاريخية لظهور الاستشراق، وأهداف المستشرقين الخاضعة للتبعية السياسية والاستعمارية في جوانب كثيرة منها إلى تلك الجهود المقدرة فيما يتصل بالشعر الجاهلي، واستعرضنا بعض الدراسات التي بذلها نخبة منهم حاولوا التجرد من الهوى والتعصب والإلتزام بالموضوعية، فبحثوا في هذا الشعر وأماطوا اللثام عن كثير من جوانبه تحقياً ونشراً وجمعاً ودراسة. في قمت كانت البلاد العربية والباحثون العرب لا يمتلكون من مقومات البحث العلمي والغوص في مكونات هذا الشعر ما يمتلكه المستشرقون، فإنه لا يجب أن تأخذنا العاطفة فتصادر جهود هؤلاء المستشرقين بحجة أهدافهم السياسية والاستعمارية. ووقوع أغلب البلاد العربية في مطلع العصر الحديث تحت وطأة الاستعمار الغربي، أو ما يقال عنهم عند بعض الدارسين: بأنهم شوها تراثنا الإسلامي عن قصد وغير قصد أو أن نقم الدين في كل أعمالهم العلمية، فنظن أنهم جميعاً قد توافروا على هذه الأعمال العلمية بهدف ديني بحت، يتمثل في التبشير والتبصير، وما إلى ذلك من الأحكام التي قد تطلق جزافاً دون علم ومعرفة (١٧). كما أن عدم الموضوعية في دراسة الشعر الجاهلي عند بعضهم لا يجب أن يمنعنا من الإشادة بمن أجاد منهم.

لقد تخلى عدد من المستشرقين عن التبعية بجميع أشكالها، وأهدافها، وعملوا بصدق للبحث العلمي، وغاصوا في كوامن التراث العربي بعيداً عن أي هدف يتعارض مع مهنية البحث العلمي، وخلق الباحث الصادق، وقد حظي الشعر الجاهلي بأهمية كبيرة عندهم، فقد بلغ من اهتمامهم بهذا الشعر أنهم نشروا وترجموا وحققوا ما يربو على نصف الدراوين الجاهلية، ناهيك عن الدراسات والبحوث حول قصائد مفردة أو كتب معينة أو ظواهر محددة، وقد أدركوا أهمية هذا الشعر في وقت مبكر، فاهتموا به ودرسوه، ونشروا ما تمكنوا من الحصول عليه من مخطوطاته في مجالاتهم العلمية التي أصبحت تربو على ثلاثمائة دورية ومجلة، تصدر في مختلف جامعاتهم ومعاهدهم وجمعياتهم (١٨). ويحسب لهم أنهم حافظوا على هذه المخطوطات من الضياع.

وعندما نتسبع جهود المستشرقين في دراسة الشعر الجاهلي وتحقيقه فإننا نجد أن المستشرق النمساوي "رودلف جاير" Jeyer, Rudolf (١٨٦١-١٩٢٩) قد بذل جهوداً علمية مقدرة في هذا المجال، فقد حقق ونشر عدداً من الدراوين ومنها :

• ديوان الأسود بن يعفر ١٩٢٨م

- ديوان أوس بن حجر ١٨٩٢م
- ديوان الأعشى الكبير (الصبح المبني في شعر أبي بصير، مع ديوان الأعشى سنة ١٩٢٨م
- ديوان سلامة بن جندل ١٩١٥م
- ديوان الشنفرى الأزدي ١٨٧٧م
- ديوان المسيب بن علس ١٩٢٨م

والتواريخ المشار إليها هنا ليست بالضرورة أن تكون تواريخ التحقيق، فقد تكون تواريخ النشر، سواء كان هو الذي نشرها أم أن غيره هو الذي نشرها بتحقيقه وجمعه، إحياء لذكراه، أو لذكري علمية أخرى تقتضي مناسبتها نشر مثل هذه الدواوين.

كما أن لهذا المستشرق اهتماماً بدراسة بعض القصائد المفردة كقصيدتي الأعشى "مابكاء الكبير..." و "ودع هريرة..." وله كذلك "مشارف الأقاوي في محاسن الأراجيز" جمعها من أراجيز العجاج، ورؤية، وذو الرمة، وجريز، والشماع، وغيرهم. وعلق عليها بالألمانية. وله غير هذا مما يتصل بالشعر الجاهلي متناً وترجمة وتحقيقاً، ودراسة. (١٩)

وقد قام المستشرق الإنجليزي "كرنكوف" Krenkow, Fr بجهد كبير في نشر وتحقيق بعض الدواوين الشعرية والكتب ذات الصلة بالشعر الجاهلي من ذلك على سبيل المثال (٢٠).

- ديوان الحارث بن حلزة الإشكري، طبع المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٢م بيروت
- ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي ١٩٢٢م
- ديوان مزاحم العقيلي، متناً وترجمة إنجليزية، ليدن ١٩٢٠م
- ديوان النعمان بن بشير الأنصاري، وفي ذيله ديوان بكر بن عبدالعزیز العجيلي عن مخطوط السلطان محمد الفاتح باستانبول.
- حماسة ابن الشجري متناً وترجمة ١٩٤٥م
- ديوان الطفيل الغنوي، وديوان الطرماع بن حكيم في مجلد واحد متناً وترجمة إنجليزية، مع مقدمة وشروح واستدراكات وفهارس، ومعجم المفردات بالعربية والإنجليزية، ليدن ١٩٢٨م
- كتاب الجمهرة لابن دريد في ثلاثة أجزاء، حيدر أباد ١٩٢٨م

- كتاب أخبار النحويين والبصريين للسرياني، في ١١٦ صفحة، مع مقدمة وفهارس لأسماء الرجال والقبائل، والأماكن والكتب، الجزائر ١٩٣٥م
- معجم الشعراء للمرزباني، نشره الشيخ أحمد محمود شاکر في القاهرة ١٣٥٤م
- المؤلف والمختلف للآمدي، ومعه قطعة من معجم الشعراء للمرزباني (نشرة القاهرة ١٩٥٤م)

وكان "لكرنكوف" جهود كبيرة في دراسة التراث العربي، والإسلامي، والاهتمام به، ونشره في كتب مستقلة، أو على صفحات كبرى المجلات العلمية (٢١).  
 وإذا ذكر دور المستشرقين في دراسة ونشر وتحقيق الشعر الجاهلي. فإنه لا يمكن تجاوز المستشرق الألماني "نولدكه" Noldeke، حيث قام بدور لا ينكر في هذا الجانب، ومن أشهر أعماله (٢٢):

- نشر ديوان قيس بن الخطيم
- ديوان لقيط بن يعمر ١٨٦٢م
- ديوان عروة بن الورد متناً وترجمة ١٨٦٣
- وفي سبيل فهم الشعر الجاهلي ١٨٦٤م
- المعلقات الخمس، ترجمة وشرحاً مع موجز لتاريخ الجاهلية، فينا ١٨٩٩-١٩٠٠م
- كُتِبَ عن أمية بن أبي الصلت، والسموئل- والشعر الجاهلي، ونشر هذه الكتابات في المجلة الآسيوية ١٩١٢-١٩٢١م وله دراسات حول ديوان معن بن أوس المزني، وديوان قيس بن الخطيم، وديوان عمرو بن قميئة، وديوان ذي الرمة، ولأمية العرب للشنفرى، وديوان أبي طالب، وجمهرة أشعار العرب للقرشي، وديوان طرفة بن العبد، وغير ذلك من البحوث والدراسات التي تتصل بالشعر، واللغة العربية، وبعض الدراسات الإسلامية، وعلم التاريخ وسواها (٢٣).

ويعد المستشرق الألماني "كارل بروكلمان" Brockelmann, C من المستشرقين الذين انتصف نشاطهم العلمي بالفزارة والموضوعية، والعمق والشمول والخبرة، مما جعله مرجعاً لا يمكن تجاوزه في الأدب العربي والتاريخ الإسلامي، حصل على الدكتوراه وكان عنوان بحثه "العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبري" ستراسبورج

١٨٩٠م (٢٤) غير أن نشاطه في مجال الأدب العربي بشكل خاص قد فاق النصور، ويعد كتابه "تاريخ الأدب العربي" من أهم المصادر في هذا السياق.

"ولبروكلمان" بحوث حول ديوان لييد مترجماً عن طبعة فينا ومزوداً بالخواشي ١٨٩١م، وله رسالة في لحن العامة للكسائي مذبلة بشروح وفوائد نشرت في المجلة الآشورية العدد ١٣ عام ١٨٩٨م، وقد نشر كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة في أربعة أجزاء (٢٥). كما نشر مقالة عن كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجهمي في مجلة الدراسات الشرقية "لولدكه" ١٩٠٥م، ويمكن الاطلاع على جهود هذا المستشرق في مجال دراسة التاريخ والمخطوطات والأدب المقارن بالرجوع إلى ما كتبه "لجيب العقيلي" في كتابه "المستشرقون" عن "بروكلمان" وغيره.

وللمستشرق الإنجليزي "السير تشارلز جيمس ليال" *Lyall, Sircharles, J* جهود واضحة في دراسة وتحقيق ونشر الشعر الجاهلي، وما يتصل بهذا الشعر من كتب قديمة، فقد حقق شرح المعلقات السبع للتبريزي (١٨٨١م)، وأعد دراسة عن تراجم شعراء العرب القدماء، والشعر الجاهلي ١٨٨٥م، ونشر ديوان عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل بشرح ابن الأنباري متاً وترجمة، كما نشر ديوان عمرو بن قميئة، والمفضليات للمفضل الضبي، بشرح ابن الأنباري، كذلك وصنع فهرس في ثلاثة أجزاء (المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٨م)

وقد نشر عدداً من البحوث في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، منها ما يتعلق بالشعر الجاهلي، ومنها ما يتعلق بالدراسات الإسلامية والتاريخية، ومن تلك البحوث "الوصف في الشعر الجاهلي" ١٩١٢م و"الشعر الجاهلي مرجع للمعلومات التاريخية" ١٩١٤م و"صلات الشعر الجاهلي بالأدب اليهودي والتوراة" ١٩١٤م و"شعر تأبط شراً، الشاعر الصعلوك" ١٩١٨م، وله دراسات وبحوث متعددة في مجال الدراسات الإسلامية والعربية (٢٦).

وقام المستشرق الفرنسي "أرمان كوسن دي برسفال" *Caussinde Perceval* بتحقيق ديوان المتلمس الصبعي ونشره في المجلة الآسيوية ١٨٤١م، وديوان طرفة بن العبد ونشره كذلك في المجلة الآسيوية ١٨٤١م، وحصل المستشرق الألماني "فاندينوف" *Vandenhoff, B.* على درجة الدكتوراه عن رسالته التي قدمها في ديوان طرفة بن العبد بجامعة برلين ١٨٩٥م (٢٧).

وتم تحقيق ديوان المهذلين على يد كل من المستشرقين الألمانيين "فللهوزن" ١٨٤٤-١٩١٨م و *Wellhausen, J* و "ياكوب بارت" ١٨٥١-١٩١٤م *Basset, Rene* ونشر في المجلة

الأشورية ١٩١٢م بمساعدة المستشرق الألماني "يوهان كوزغارتين" ١٧٩٢-١٨٥٠م  
(٢٨) Kasegarten, J.g.L

وللمستشرق "رينيه باسيه الفرنسي" ١٨٥٥-١٩٨٤م Basset, Rene جهوده في تحقيق ديوان عروة بن الورد، وقد نشره في مجلة الدراسات الشرقية ١٩٢٦م (٢٩). ونقد المستشرق الروسي "سينكوفسكي" ١٨٠٠-١٨٥٨م Enko wski ديوان لييد بن ربيعة العامري، ونشر "بروكلمان" جزءاً منه، ونشر المستشرق النمساوي "كريمير" ١٨٢٨-١٨٨٩م Kremer Alfered, Von الجزء الثاني فينا ١٨٩١م (٣٠)، وحظي ديوان علقمة الفحل بتحقيق المستشرق الألماني "فيستفيلد" ١٨٠٨-١٨٩٩م. Wustefeld, F (٣١) ليدن ١٨٥٨م، وكان المستشرق الألماني "الورد، فيلهلم" ١٨٣٨-١٩٠٩م. Ahlwardt, W. قد قام بجهود كبيرة في نشر وتحقيق الشعر الجاهلي، ومن أعماله تحقيق ديوان الظهمان الكلابي، ونشر العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين، وقصيدة تأبط شراً، إضافة إلى صناعة فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الوطنية في عشرة مجلدات، فقد وصف ما يربو على عشرة آلاف مخطوط عربي تحوي كنوز الثقافة العربية وغير ذلك (٣٢).

وقد قام المستشرق الألماني "هيل، ج" ١٨٧٥-١٩٥٠م. Hell, J. بنشر ديوان أبي ذؤيب الهذلي ١٩٢٦م كما نشر بعض أشعار الهذليين في جزئين ١٩٢٦-١٩٣٣م واشتملت على شعر أبي ذؤيب، وساعدة بن جوعية، وأبي خراش، والمتخل، وأسامة بن الحارث، والعباس بن الأحنف وغير ذلك (٣٣). كما أن المستشرق الألماني "توربكة" ١٨٣٧-١٨٩٠م Thornecke, قام بنشر الجزء الأول من شرح المفضليات لابن الأنباري مع شرح المرزوقي عن مخطوط برلين ١٨٨٥م، وقد أكملها "تشارلز ليزال" ونشرها برمتها في أكسفورد ١٩٢١م (٣٤) وقد حظيت لامية الشنفرى بنصيب كبير من اهتمام الدارسين المستشرقين، ومنهم "جورج يعقوب"، الذي ألف فيها، وقسم موضوعاتها، ودرس جملة الشعر الجاهلي (٣٥).

ويعتد المستشرق الإنجليزي "السير هاميلتون جيب" ١٨٩٥-١٨٧١م Gibb, Sir Hamiltan من أعلام المستشرقين، وأكثرهم اهتماماً بالتراث العربي والتاريخ الإسلامي، كما أنه يعتبر خليفة "مرجليوت" في أكسفورد ١٩٣٧-١٩٥٥م وهو عضو الجمع العلمي في دمشق والجمع اللغوي في القاهرة عندما أسس، درس ديوان الحماسة لأبي تمام،

والمعلقات السبع، كما أنه عين أستاذاً للغة العربية في جامعة لندن ١٩٣٠-١٩٣٧م، واجتمع بكبار أدباء العرب، وقرأ مصنفاتهم (٣٦).

ولقد تنوعت دراسات المستشرقين - كما رأينا - بين دراسة دواوين باكملها، أو مجاميع شعرية، أو قصائد مفردة، أو كتب أدبية ذات علاقة بالشعر الجاهلي. وقد رأينا دور المستشرق الألماني "زرستين" في دراسة قصيدتين للشاعر "سحيم عبدبني الحسحاس"، ودرس "توربيكه" الألماني قصيدة للأعشى في مدح النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ودرس "جويدي الإيطالي" قصيدة لعمر بن معديكرب الزبيدي (٣٧).

ولم يقتصر دور المستشرقين على دراسة الدواوين الشعرية لشعراء العصر الجاهلي، أو نشر بعض الدواوين والقصائد، وجمع المخطوطات من هنا وهناك، والحفاظ عليها وترميمها وحفظها، ولكنهم اشتغلوا بالتأليف فيما يمكن أن يكون نافعا مفيداً، فقد سجلوا كثيراً من ملاحظاتهم النافعة حول لغات الشرق وآدابه، ولم تسلم جهودهم جميعاً من الانحراف والشطط فمنهم - كما رأينا من قبل - من تطرق إلى قضايا أدبية ذات أهمية في تراثنا الأدبي القديم مثل قضية الانتحال، ومادار حولها من نقاش، وما يتعلق بالرواية، والرواية والكتابة عند العرب في العصر القديم (٣٨).

وقد ذكرت بعض الدراسات في إحصائياتها أن المستشرقين ألفوا ما يربو على ستين ألف كتاب، تناولوا فيها تاريخ الشرق وآدابه وثقافته منذ العصر القديم وحتى تاريخ إعداد تلك المؤلفات (٣٩). وكانت جهود المستشرقين متأخرة - كما ذكرنا من قبل - في أوائل القرن التاسع عشر وربما من بداية القرن الثامن عشر إلى نهاية القرن العشرين. وتنوعت مؤلفاتهم فضلاً عن التحقيق ونشر المخطوطات بين الدراسات اللغوية والأدبية، وكتابة المقالات وتأليف الكتب، وانصب تركيزهم في جانب كبير منه على تاريخ الأدب العربي، فآلقوا فيه، كما اهتموا بالمعاجم والقواميس اللغوية (٤٠).

ومع هذا كله، فإنه لا يمكن أن نسلم بأن المستشرقين هم وحدهم الذين درسوا الشعر الجاهلي تحقيقاً ودراسة وجمعاً ونشراً، فإن من علمائنا قامات أدبية كان ولا يزال لها جهودها في هذا المجال، وهي جهود مشكورة ومقدرة نقف لها إجلالاً وتقديراً من أمثال العلامة المحقق محمود محمد شاكر، وأخيه أحمد شاكر، وسيد صقر، وعبد السلام هارون، وحسن الصيرفي، ومحمود الطناحي، وأبو الفضل إبراهيم وغيرهم من العلماء من مختلف الأقطار العربية. ندعو لمن مات منهم بالرحمة ولن بقى بالتوفيق والصحة، فقد جادوا لنا بكل ثقة بدراسات وتحقيقات وتأليفات يقصر عنها باع

المستشرقين مهما كانوا، ولكننا نقدر هؤلاء المخلصين جهودهم، كما نقدر للمستشرقين في دراستهم ممن ابتعدوا عن الأهداف المنحرفة وتجردوا للبحث بموضوعية وصدق .

### الهوامش

- (١) مناهج البحث في الأدب واللغة والتربية، د. السيد محمد الديب، مكتبة الآداب ٢٠٠٠م القاهرة ص: ٩٥، وانظر كذلك الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، د. عفيف عبدالرحمن، دار الفكر، عمان (د.ت) ص: ٢٧ .
- (٢) الاستشراق واخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، مطابع الدوحة ١٤٠٤ ص: ١٨، وانظر مناهج البحث في اللغة والأدب ص: ٩٥-٩٦ .
- (٣) الأدب الحديث ومدارسه، د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الطباعة احمديّة، ص ٣١٨ .
- (٤) هناك أكثر من (٥٦) جامعة أو معهد تعلم معظم اللغات الشرقية، ومن أشهر هذه الجامعات جامعة أكسفورد (١١٦٧م) حيث خصت اللغة العربية، والعبرية، والكلدانية، والسريانية بأول كرسي فيها، استجابة لقرار البابا "أكليمنتين الخامس" في مجمع فينا ١٣١١-١٣١٢م، ثم أنشأ كبير الأساقفة كرسياً للغة العربية في الجامعة نفسها ١٦٣٦م وفي مطلع القرن الثامن عشر أضيف إليه كرسي آخر، وزاد الاهتمام في هذه الجامعة باللغة العربية، وألصقت اللغات السامية والدراسات الإسلامية، وتاريخ الشرق الأدنى الحديث والفلسفة العربية. يراجع في هذا الخصوص كتاب "المستشرقون" لجيب العقيلي، طبعة دار المعارف الطبعة الرابعة، ٦/٢، ٣، ٢٦٥، ١١/١٧٣، ٣٧، ٥٣، ١٢٠، ٢٢٦، ٢٣٨، ٣٩١ .
- (٥) يراجع الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د. أحمد هيكل، دار المعارف (ط. ١) ص ٣١٦-٤٢٢ .
- (٦) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، ص ٢٧
- (٧) يراجع ترجمة ونشاط هذا المستشرق في كتاب "المستشرقون" لجيب العقيلي ١٦٢/١-١٦٥ .
- (٨) مناهج البحث في الأدب واللغة ص ٩٦ .
- (٩) الامتشرقاق والمستشرقون د. مصطفى السباعي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت (د.ت) ص ١٦ .
- (١٠) المصدر السابق ص ١٧-١٨

(١١) أدوارد هنري بالمير (١٨٤٠ - ١٨٨٣) والسدي كميريدج، وكان منذ طفولته مولعاً بتعلم اللغات، ولما تعلم اللغة العربية أخذ ينقل طائفة من الأشعار الإنجليزية إليها، وكان له نشاط سياسي في البلاد العربية بالإضافة إلى نشاطه العلمي يراجع "المستشرقون" نجيب العقيقي ٦٥/٢ وما بعدها .

"أوجيست موللر" ولد في ديساو، وتخرج باللغات الشرقية على "فلايشرليزيج" ورحل إلى برلين وباريس وإنجلترا، ثم علم العربية في جامعة فينا، وأنشأ دورية بعنوان: المكتبة الشرقية في برلين (للتناشرين رويتر وريتشرود ١٨٨٧)

"هنري إدوارد بالمير" ولد في كميريدج، وكان منذ طفولته مولعاً بتعلم اللغات، وله قدرة عجيبة على إتقانها، لما أجاد اللغة العربية أخذ ينقل طائفة من الأشعار الإنجليزية إليها، ثم شغل بقرض الشعر العربي، ثم انتظم في جامعة كميريدج لتابعة دراساته الشرقية (١٨٦٣م) ووضع فهرس المخطوطات الشرقية، ارتاد صحراء سيناء وصحراء التيه واتصل بالبدو وتضلع من لهجاتهم وعاداتهم، وعرف بينهم بالشيخ عبدالله، يعد من قلائل الإنجليز الذين تغلغلوا في صميم اللغة العربية؛ واستطاع أن يكتب بما ينتظم في سهولة ويسر كأحد أصحابها.

"جريره، هـ . (١٨٦٤-١٩٤٢)" أستاذ الدراسات واللغات الشرقية في مونستر، له ترجمة وافية بقلم المستشرق "تايشنير" في المجلة الشرقية الألمانية ١٩٤٢م.

"وليم رايت (١٨٦٤-١٩٤٢)" ولد في البنغال، وكان والده قائداً في الجيش البريطاني، ووالدته ابنة الحاكم، خيرة بعدة لغات شرقية، فشجعتة على تعلمها فدرستها في أسكتلندا، وفي ليدن على يد المستشرق "دوزي" ثم عين أستاذاً للغة العربية في جامعتي لندن (١٨٥٦) ودبلن (١٨٥٨) وحصل على درجة الدكتوراه في الحقوق والفلسفة من جامعة كميريدج (١٨٧٠) وظل أستاذاً حتى وفاته .

يراجع العقيقي ٦٢، ٦٥، ٣٩١، ٤١٤/٢

(١٢) المصدر السابق ٤٤٦/١

(١٣) المصدر لاسابق ١٣٨/٣

(١٤) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، من بحث للدكتور مصطفى هدارة بعنوان "موقف مرجليوث من الشعر العربي" ٣٩٦/١ وما بعدها.

(١٥) المستشرقون ٤٤٧/١ وما بعدها .

(١٦) طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، طبعة المدني، القاهرة ٢٤/١ (٥.د)

(١٧) أنظر مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ٣٢٠/٢

(١٨) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين ٢٨، وقد أورد أن أبرز مظاهر الاستشراق تمثل في إنشاء الجمعيات العلمية لمتابعة الدراسات الاستشراقية، وذكر من هذه الجمعيات:

• الجمعية الآسيوية بباريس ١٨٢٢م

• الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا، وإيرلندا ١٨٢٣م .

• الجمعية الشرقية الأمريكية ١٨٤٣م .

• الجمعية الشرقية الألمانية ١٨٤٥م . وذكر من المجلات التي تعنى بنشر التراث والدراسات الشرقية

• مجلة ينابيع الشرق التي أصدرها المستشرق "بورجيشال" في فينا سنة ١٨٠٩م

• مجلة الإسلام بباريس ١٨٩٥م.

• مجلة العالم الإسلامي التي صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب ١٩١٦م.

• مجلة الإسلام في ألمانيا ١٩١٠م

• مجلة عالم الإسلام في روسيا ١٩١٢م، وأصدرها المستشرق "صمويل زويمر" وغير ذلك من الإصدارات التي قد يطول المقام بذكرها.

(١٩) ولد المستشرق "جابر النمساوي" ١٨٦١م وتوفي ١٩٢٩م، وتخرج على المستشرق "موللر"

وعين أستاذاً للعربية في جامعة "كاكوفيا" في بولونيا ترجمته بقلم "براو" في المجلة النمساوية للدراسات الشرقية ١٩٢٩م

(٢٠) ولد في شنرج بشمالي ألمانيا ١٨٧٢-١٩٥٣م، وأتقن اللغات الأوروبية وتعلم الفارسية،

نرح إلى إنجلترا، وتجنس بالجنسية الإنجليزية، حثه المستشرق الكبير "السير تشارلز ليزال" على

التضلع من العربية والفارسية والأوردية، يقال عنه إنه اعتنق الإسلام، وأنه سمي نفسه محمداً.  
يراجع في ترجمته وآثاره العلمية "العقيقي" ٩٧/٢ وما بعدها.

(٢١) المصدر السابق ٩٢/٢

(٢٢) ولد في هامبورج (١٨٣٦) وأطلق اسمه على أحد شوارعها، تعلم اللغات السامية والفارسية، والتركية، والنسكربتية، ونال الدكتوراه، كما نال عدداً من الجوائز، عين أستاذاً للغات السامية والتاريخ الإسلامي في جونتجين ١٨٦١م، ثم أستاذاً للغات الشرقية في ستراسبورج، فجعلها مركزاً للدراسات الشرقية في ألمانيا. يراجع تاريخه وآثاره في "العقيقي" ٣٧٩/٢-٣٨٢.

(٢٣) المصدر السابق ٨١/٢-٨٣

(٢٤) ولد "بروكلمان" في رستوك، وتخرج في اللغات السامية على أعلام المستشرقين ومن أشهرهم "تولدكه" وقد اشتهر "بروكلمان" في فقه العربية، والتاريخ الإسلامي، وكان ضليعاً في تاريخ الأدب العربي، عين أستاذاً في عدد من الجامعات الغربية، كما عين عضواً في عدد من المجمع اللغوية، يعد من أشهر المستشرقين في غزارة الإنتاج العلمي في الدراسات العربية. يراجع المصدر السابق ٤٢٤/٢-٤٣٠.

(٢٥) نشر الجزء الأول منها في برلين سنة ١٩٠٠م وفي ستراسبورج نشر الأجزاء الثلاثة الأخرى في ١٩٠٣، ١٩٠٦، ١٩٠٨. العقيقي ٤٢٥/٢

(٢٦) يراجع ترجمته وآثاره في "المستشرقون" ٦٨/٢ وما بعدها.

(٢٧) الأدب العربي في آثار الدارسين ٣٠

(٢٨) المصدر السابق ٣٠-٣١، والعقيقي ٣٦٠/٢-٣٦١-٣٨٦-٣٨٧.

(٢٩) يراجع ترجمة هذا المستشرق وأخباره في العقيقي ٢١٦/١-٢١٨

(٣٠) يراجع ترجمة هذا المستشرق الروسي "مينكو فسكي" في العقيقي ٥٥/١ وما بعدها.

(٣١) العقيقي ٣٦٧/٢-٣٦٩

(٣٢) يراجع أخبار هذا المستشرق وآثاره العلمية في "العقيقي" ٣٨٣/٢

(٣٣) المصدر السابق ٤٣٧/٢

(٣٤) المصدر السابق ٣٨٢/٢

- (٣٥) نشيد الصحراء لشاعر الأزد "الشنفرى" د. محمد بديع شريف، منشورات درا مكتبة الحياة بيروت (د.ت) ص: ٧ وقد تابع دراسة هذه القصيدة كل من المستشرق "ياكوب الألماني" و"جيمس هاوس الإنجليزي" و"ساسى الفرنسي" و"فايل الألماني" و"هاامر الألماني" و"زوكهارت" وغيرهم. يراجع الأدب الجاهلي في آثار الدارسين ٣٣ .
- (٣٦) تراجع سرية هذا المستشرق، وأخباره في العقبي ١٢٩/٢ - ١٣١ .
- (٣٧) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين ٣٣ .
- (٣٨) مناهج البحث في الأدب واللغة ١١٧ .
- (٣٩) المصدر السابق ١١٨ - ١٢٠ .
- (٤٠) حظي تاريخ الأدب العربي باهتمام عدد من المستشرقين، فالفوا فيه وكان من أشهر من تطرق إلى هذا الموضوع وتناوله بالتأليف كل من :
- المستشرق "كارل بروكلمان" في كتابه المفيد "تاريخ الأدب العربي".
  - تاريخ الأدب العربي، لبلانشير، ترجمة إبراهيم الكيلاني.
  - تاريخ الآداب العربية، للمستشرق الإيطالي "كارلو نليني".
  - دراسات في الأدب العربي، للمستشرق "هاملتو جيب".
- وغير ذلك من الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع. يراجع في هذا الشأن مناهج البحث في الأدب واللغة ١١٨ .